القنينة

قصة بقلم سركون بولص

القى قطعة الخشب من يده ، ونهض ، قال :

ـ السماء تبول كالكلب .

ثم سار ناحية السيارة . رائحة البيرة ،تركني لرائحةالبيرةوالبنزين والارض . ترنح ، ثم وقف وقد استند على الباب المفتوح للسيارة . رأيت المرأة ، ضاحكة ، بيضاء . والرجل نجشأ ثم صعد اليها . ظل الباب مفتوحا . لم اشأان ارى . ولكن لم يكن ثمة ملجأ .

صاح من مكانه : اذا اردت ان تجلس في السيارة ، لا مانع .

وغطس في الصمت ، رفع رأسه . لماذا لا يتركني ؟

سمعته ، كان يهمس للمرأة التي تصيء بالضحك :

ـ جالس في المطر ، المخنث .

ونصحني : ستبلل نفسك . المطر قذر ، لن يكف . اشرب ، على الاقل .

رائحة البيرة ، لقد سكر ، وسكرت ، لا ، ليس من البيرة . والمرأة التي تعرت ، كان الباب مفتوحا،بياض في عتمة ، وانا تحت الصنوبرة لان المطر كالسجن وليس من ملجأ ، والرجل يبدو كالزنجي في عتمة السيارة. بياض ، لست انظر ، بياض واضح واسفل المرأة واضح وهو لا يغلق الباب ، ويهطل المطر المدبب ، مطر خشن ، والبيرة تملأ نصف القنينة . اقترب ثقيلا ، والمرأة لم تنهض . في السيارة ، ظلت بيضاء : تدخن .

قال : لا تشرب؟ لا تدخن ؟ اذا ، لم جئت ؟

صحت : لم أرد ان آتي .

قال الرجل : ولكنك اتيت يا عزيزي .

فقلت بغضب : لم يسألني احد ان كنت اريد .

فضحك : انا ، قريبك الشاطر ، اردت ان تسعد قليلا . معي .

ضرب صدره . سكران،انا ايضا ، والمرأة ، رائحة البيرة والارض .

وقال : اشرب . واضطجع تحت الصنوبرة ، على مشمع السيارة المفروش فوق الارض . ورائحته ممزوجة بعطر المرأة ، وهي راقدة لم تزل .

ـ اذهب اليها .

وتجرع ، ألقى بالقنينة . قال بوجه مشمئز :

ـ لماذا لا تذهب ؟

قلت ضاحكا : لا اريد .

فصرخ : لا تضحك ايها الثور . لماذا جئت ؟

واعاد بضجر وحقد :هه،لماذا ؟

اردت ان اقول شيئا ، المرأة ، قلت الهوينا ء :

ـ المرأة . اغرتني،فجئت .

ـ اذا ، فانهض .

وانتظر .

الرائحة ، دوختني اشكال الرائحة التي تقف في فراغ انفي. نهضت ، تدحرجت عليه ، قلت صارخا : اكرهك ايها التافه .

فانفتل ، نهض،رفسني وامسك بي ، رفعني ، هزني من عنقي :

ـ اتخاف ؟ سأعلمك ، تكرهني ؟

وبدأ يصفعني . صراخه ، كانت البيرة تضحك في صراخه .والمرأة تلاحظ باسنان زجاجية في حمرة ملتاثة على دائرة فمها ، وانكفأت فجأة، تركني . جلس بعد برهة ، شرب واخرج الثقاب من جيبه ، قال بجرأة :

ـ نحن مخمورات . لنأكل.

واشعل الخشب ، فارتفع دخان اخضر . وهمس بشقاء :

ـ هذا البول لا يترك شيئا جافا .

واهدى الي قوله :

ـ الا تتسلى معها ؟

فهمست : اكرهك ، يا ابن عمي .

في وجهه المذعور الثقيل ، في بول السماء ، في الدخان ، ضحكت وتجشأت وانتظرت ان تسقط الصنوبرةالعارية وتدفن جثتي وجثته .

رفع صوته من المغطس الذي في بطنه ، قال :

ـ لانني شقي ، لانني شقي .

فهمست : ابنك مات البارحة ، لماذا جئت بالمرأة ؟

تواجهني بزجاجتين تحت جبينه ، قال بلطف :

ـ انت لا تفهم .

فصرخت : لا تحاول ان تتكلف .

القى الخشب والثقاب ،وقال لي متهربا :

ـ قد تستطيع ان تشعل النار.

قلت : ساشعلك ايها الخرقة .

ارتمى علي فجأة ، كأنما حملته الريح ، ثقيلا اجش الحنجرة :

ـ لا تزعجني ، ساقتلك ، لا تزعجني .

وصفعني ، فلم ابتعد، وكف . طار فجأة الى السيارة ، سمعت صراخ المرأة ، وجريت ، امسكت بذراعيه ودفعته على العشب الخريفي الرطب . واعطيته القنينة ، وقطعة خبز ، وبيضة . وشرب ثم اكل،وحول بؤبؤيه الى اعلى ، نصفاهما ظاهران .

ـ انني شقي .لماذا مات ، لماذا ؟

واخذت القنينة ، بيرة فاترة تزور امعائي . رائحة الارض والمطر ، وصاح :

ـ اي فصل هذا ؟

ـ خريف .

فاوضح : لا اعرف متى يتبدل كل شيء ، وكيف .

فقلت بهدوء : لماذا جئت بالمرأة ؟

قال : انكل شيء زائغ .

وزمجر ، دار كالنمر بسرعة ، وانبثق امامي:

ـ الا تذهب اليها ؟

ورمقني ، لم يصل نظره الى ما تحت جلدي . انكفأ فجأة ، خار الى الارض واخفى وجهه .وقال:

ـ خريف ، خريف اخر .

وامتزج بالارض ، رائحة رجل ورائحة ارض . وقميصه اصبح جلدا اخر ، في المطر الفاتر ، ترطب وتشبث بجثته الطويلة ، تحت الصنوبرة، ونحن ننتظر ان تنكفيء فيالبول وتخفي كل شيء ، ورفع رأسه فجأة . ارهف اذنه ، مغمضا . كانت المرأة تغني ، وكان الفسق . قال : انها حنونة جدا .

واخذ يبكي .

كركوك ـ العراق

سركون بولص